

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (التكوير: ٥).

والعشار هي النوق التي كانت تُعدّ من أهمّ وسائط النقل التي كان الناس يستخدمونها زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن باستطاعة أحد في ذلك الوقت أن يتخيّل أنه سيستغني عنها أحد من الناس بحال من الأحوال.

كما تنبأ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بترك استخدام القلاص (النوق) كوسائط للنقل فقال: "لنُتركن القلاص فلا يُسعى عليه".

(صحيح مسلم عن أبي هريرة) وبيّن لنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم أنّ ترك السّعي على هذه الدواب كوسائل للنقل، إنّما سيكون بسبب ما قدّر الله للإنسان من اختراع وسائل بديلة تماثل هذه الدواب من حيث كونها وسائل للنقل أيضاً، فقال

تعالى:

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (يس: ٤٣).

وجاء في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبوءات مذهلة تتعلّق بوسائل النقل التي سيستخدمها الدجال عند ظهوره، وقد أطلق على هذه الوسيلة اسم "حمار الدجال"

ظهور الدجال

في الأحاديث الشريفة

بقلم الأستاذ: محمد منير إدلبي *

شكّ أنّ القرآن الكريم



يفيض بالنبوءات المتعلقة

بمستقبل الإنسان وأيامه ومصيره. ومن

جملة ما تنبأ به أنّ الإنسان سيتوقّف

عن استخدام النوق والعشار وأمثالها

كوسائل أساسية للنقل، وسيستخدم

وسائل أخرى بديلاً منها، مما سييسّر

الله له اختراعه، قال تعالى:



* كاتب من سوريا

وبين أن المسيح الدجال يأتي على هذا الحمار الهائل الذي يأكل النار في أحشائه، وله فتحة يُخرج منها النار والدخان وينطلق في سرعات هائلة برأً وبحراً وجوًّا، لونه أقرم شديد البياض، أهلب لا شعر له، وطول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً، وعرض ما بين أذنيه سبعون ذراعاً، وما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة. تُطوى له الأرض منهلاً منهلاً، يسبق الشمس إلى مغيبها. طولُه في الأرض ستون خطوة، ولونه أحمر، طعامة الحجارة وله فتحة يُخرج منها ناراً ودخاناً، لا يُدرى قبله من دُبره، يتقدمه جبل من دخان. يخوض البحر لا يغرق ولا يبلغ الماء حِقْوِيَه، وسرعته كالغيث إذا استدبرته الريح. له سروج وفروج ودويٌّ يملأ ما بين الخافقين، ويدعو الناس للركوب فيه.

هذا هو حمار الدجال في النبوءات المذهلة لخاتم النبيين محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأمّا عن نبوءاته المتعلقة بالمسيح الدجال نفسه، فقد قال إنَّ الدجال أجعد الشعر، أعور العين اليمنى، وعينه اليسرى كأنها عنبة طافئة، وفي رواية: كأنها كوكب دري؛ وله قدرات خارقة بحيث إنه يسيطر على الأرض والناس برأً وبحراً وجوًّا، فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، وتُخرج كنوزها وتتبعه كيعاسيب النحل. وكذلك يسيطر على مياه الأنهار، فيأمر الماء أن يرتد فيرتد، ويأمره أن يجري فيجري، ويأمره أن يبس فيبس. ويسيطر على البحار والمحيطات فيطوف فوق مائها ويجتازها بسرعات كبيرة ويُخرج من كنوزها وحياتها ما يشاء. ويُعني أقواماً - إذا ما انصاعوا له وقبلوا دعوته - فيجعل أراضيهم جنات خضراء مثمرة ومواشيهم مسمّنة باللحم وممتلئة بالضروع باللبن. ويحاصر الأقوام التي ترفض دعوته والانصياع له فيحاصرهم ويفقرهم، ويجعل أراضيهم محلة ومواشيهم معروقة

وأيدبهم فارغة. كما يسيطر على طيور السماء فيتناولها من الجو ويشويها في الشمس شيئاً. ويمعن في خوارقه فيحبي الموتى ويشقّ الإنسان نصفين ثم يعود فيضمّه ويحييه من جديد فيأتي يتهلّل وجهه يضحك!

ويأتي الدجال بمثل الجنة والنار، ويكون معه جبال من لحم وخبز وأنهار من ثريد تتقدمه النار في حين يكون من ورائه جنة جبل أخضر.

أمّا عن زمن الدجال العجيب، فإنّه يختلف اختلافاً كبيراً عن المؤلف حيث يجعل الدجال الزمن يتقارب فتصير السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كالساعة، والساعة كضربة النار. كما أنّ المدن في زمانه تتوسع وتكبر.

وتختلف أحوال الغذاء بالنسبة إلى المؤمنين فيصير التهليل والتسبيح والتكبير بمثابة الغذاء لهم. وأمّا بعد القضاء على الدجال وانتشار العدل

” هذا هو حمار الدجال في النبوءات المذهلة لخاتم النبيين محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأمّا عن نبوءاته المتعلقة بالمسيح الدجال نفسه، فقد قال إنَّ الدجال أجعد الشعر أعور العين اليمنى وعينه اليسرى كأنها عنبة طافئة، وفي رواية: كأنها كوكب دري؛ وله قدرات خارقة بحيث أنه يسيطر على الأرض والناس برأً وبحراً وجوًّا فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت وتخرج كنوزها وتتبعه كيعاسيب النحل.“

في الأرض، فتختلف الغرائز والنفوس الحيوانية؛ إذ يصير الذئب في الغنم ككلبها، وتمشي الناس بين الوحوش الضارية فلا تؤذيهم، ويدخل الأولاد أيديهم في أفواه الأفاعي السامة فلا تلدهم، وتمرّ الغنم بالحقول فلا تمسّ السنابل ولا تأكلها ولا تكسر أعواد الزروع^٢.

وهكذا تطرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بظهور الدجال الكثير من الغرائب والعجائب التي يصرّ المشايخ على الأخذ بحرفيتها، باعتبار أنها أحاديث صحيحة مسندة متواترة ثبتت وصحّت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا شكّ في أنّ هذه الأحاديث صحيحة متواترة، ولكنّ الأخذ بحرفيتها يتنافى ويتناقض مع العقل والعلم والمنطق الإنساني الصحيح، والأهمّ من ذلك أنه يتنافى ويتناقض مع المنطق الإيماني السليم في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما سنبرهن في الحلقات القادمة إن شاء الله. ولكنّ فهم هذه الأحاديث على ضوء البيان والتعليم القرآني الكريم سوف يُبدي أنها آيات إعجازية مذهلة تشهد على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ورسالته للعالمين كما نوهنا آنفاً.

وبما أنّ الأحاديث الشريفة التي ذكرت الدجال وفتنه كثيرة جداً، كان لابدّ من ذكر بعضها فقط مما يُساعد على بيان حقيقة الدجال دون إسهاب أو إطباب؛ لذا فإننا سنعرض الأحاديث - التالية - ثم نعمد إلى مناقشة كل واحد منها في محله بعد أن نبين الهدى القرآني المتعلّق بفهم النبوءات التي يُظهر الله عليها أنبياءه، وكيف يجب على العلماء والفاهمين أن يؤوّلوها:

الأحاديث الصحيحة المتعلقة بظهور المسيح الدجال:

عن عليّ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «تحت الدجال حمار أقرم طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً... .. تطوى له الأرض منهاً منهاً يتناول السحاب بيمينه.. ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبه...» (كنز العمال) وأورده صاحب (عقد الدرر في أخبار المنتظر) وأورد الإمام المقدسي في كتابه (عقد الدرر في أخبار المنتظر) الصفحة ٢٧٦ - الحديث التالي:

«يُخرج - الدجال - على حمار مطموس

” ولا شكّ في أنّ هذه الأحاديث صحيحة متواترة، ولكنّ الأخذ بحرفيتها يتنافى ويتناقض مع العقل والعلم والمنطق الإنساني الصحيح، والأهمّ من ذلك أنه يتنافى ويتناقض مع المنطق الإيماني السليم في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم....“

العين، مكسور الطرف، يخرج منه الحيات، محدودب الظهر، قد صوّر كلّ السلاح في يديه، حتى الرمح والقوس، يخوض البحار إلى كعبه». ذكره الإمام أبو الحسن محمد بن عبيد الله الكسائي في قصص الأنبياء.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في قصّة الدجال: «له حمار أحمر طوله ستون خطوة...» (عقد الدرر في أخبار المنتظر ص: ٧٤) وجاء في رواية أنّ حمار الدجال طوله ستون ذراعاً، لا يُدرى قبله من دبره. يتقدّمه جبل من دخان. كما ورد أنّ طعامه الحجارة، وله فتحة يُخرج منها النار، وله دويّ يملأ ما بين الخافقين.

وعن حذيفة رضي الله عنه عن رسول

كل مؤمن كاتب وغير كاتب
ومعه جبال من خبز». (رواه أحمد
في مسنده، وصحّحه الحاكم في
المستدرک ورجاله ثقة).

وجاء في صحيح مسلم عن خذيفة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال:

«إنّ الدجال يخرج، وإنّ معه ماء
وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار
تتحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء
عذب بارد، فمن أدرك ذلك منكم
فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب
بارد».

وفي رواية ابن أبي شيبة:
«.. معه من كل لسان، ومعه صورة
الجنة خضراء يجري فيها الماء، وصورة
النار سوداء تُدخن». (معجم أحاديث
الإمام المهدي ج ٢ ص ٦)

كما جاء في صحيح مسلم عن
النواس بن سمعان في حديث طويل
عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم، قال:

«غير الدجال أخوفني عليكم. إن
يخرُج وأنا فيكم فأنا حجيجُ دونكم،
وإن يخرُج ولستُ فيكم، فأمرؤُ حجيجُ
نفسه، واللّه خليفتي على كلِّ مسلم
.. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح
سورة الكهف .. قلنا: يا رسول الله

ويشويه في الشمس شيئاً». .
وجاء في كتاب (الإشاعة لأشراط
الساعة للإمام البرزنجي) من حديث
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أنّ الدجال:

«... يأتي النهر فيأمره أن يسيل
فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع،
ثم يأمره أن يبس فيبس» (رواه
نعيم بن حماد، ص: ١٢٥ ، ١٢٩)
وروى الحاكم وابن عساكر عن ابن
عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قد قال في الدجال: «...
يسير معه جبلان، أحدهما فيه
أشجار وثمار وماء، وأحدهما فيه
دخان ونار، فيقول هذه الجنة وهذه
النار».

وروى نعيم وخذيفة عن ابن عمر في
حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عن الدجال أنّ معه:
«جبل من ثريد ونهر ماء».

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

« يخرج الدجال في خفة من الدين،
وإدبار من العلم .. وله حمار يركبه
عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً فيقول
للناس: أنا ربكم وهو أعور وربكم
ليس بأعور مكتوب بين عينيه»
كافر "مهجّة"، ك ا ف ر يقرؤه

الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«.. يركب - الدجال - حمراً أبتز بين
أذنيه أربعون ذراعاً، يستظلّ تحت أذنيه
سبعون ألفاً من اليهود».

وروى أبو نعيم عن خذيفة رضي الله
عنه في حديث عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم أنّ حمار الدجال:
«.. يخوض البحر لا يبلغ حقويه،
وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيبلغ
قعره فيخرج من الحيطان ما يشاء".
وفي رواية: "فيمته يده الطويلة فيخرج
... ما يشاء".

وفي حديث رواه المنادي عن عليّ
كرّم الله وجهه أنّ الدجال:

«.. يتناول السحاب بيمينه ويسبق
الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى
كعبيه، أمامه جبل من دخان وخلفه
جبل أخضر، ينادي بصوت يسمع له
ما بين الخافقين: إليّ أوليائي، إليّ
أوليائي، إليّ أحبائي إليّ أحبائي، فأنا
الذي خلق فسوّي، والذي قاتر
فهدى، وأنا ربكم الأعلى. كذب عدو
الله..».

وورد في حديث رواه الحاكم وابن
عساكر عن ابن عمران أنّ الدجال:
«يسيح الأرض كلّها في أربعين
يوماً، وما من بلد إلا وسيطؤها إلا
مكة والمدينة، ويتناول الطير من الجو،



وما إسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريحُ. فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماءَ فتمطر والأرضَ فتنبت .. ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون محملين ليس بأيديهم شيء من أموالهم .. ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتبعه كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلاً ممتلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزئتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين .. فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه؛ فيطلبه حتى يدركه بباب «لد» فيقتله. ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني أخرجتُ عبداً لي لا يدان لأحد بقتلهم، فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ينسلون ... إلى آخر الحديث» .

وجاء في كنز العمال - الجزء ١٤، حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال: « لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال: « إنما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه. فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر الآخر، إنه أشدّ الفتن» . (نعيم

بن حماد الإشاعة لأشراط الساعة للإمام البرزنجي ص: ١٢٨)

هذه باقة من الأحاديث الشريفة التي يصرّ أصحاب المنطق الحرفي على الأخذ بحرفيتها؛ الأمر الذي يبدو بطلانه واضحاً من الوهلة الأولى. وسنبحث في الفصل القادم في الأساس القرآني الذي لا بدّ أن نبني عليه أسلوب الفهم والأخذ، كي لا نُحيل إعجازَ الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى خرافات وأساطير بجهلنا وطيشنا وقلة تفهمنا وتدبّرنا.

^١ - إنّ اللون الأحمر لعمار الدجال هنا هو فقط المتعلّق بالعمار البري الذي طوله ستون خطوة، كما في الحديث، وأما العمار الجويّ فلونه أقرم كما في الحديث أيضاً.

^٢ - راجع هذه الأحاديث في مصادر الحديث بحث الدجال والمهدي، وكذلك في معجم أحاديث الإمام المهدي الجزء الثاني .

يضطرب اللفظ إلا لأن معناه مضطرب في نفس صاحبه، ولا يغمض إلا لأن معناه غامض في نفسه، ومحال أن يعجز الفاهم عن الإفهام؛ ولا المتأثر عن التأثير، ولا المقتنع عن الإقناع، وما البيان إلا المرأة التي ترتسم فيها صورة النفس، فحيث تكون جميلة فهو جميل، أو قبيحة فهو قبيح، أو مضيئة فهو مضيء، أو مظلمة فهو مظلم، فإذا استطعنا أن نتصور مرآة تكذب في تمثيل الصورة الماثلة أمامها، استطعنا أن نتصور بيانياً يختلف في وصفه عن وصف نفس صاحبه. (مصطفى لطفى المنفلوطي، اللفظ والمعنى ص ١٣٢، النظرات الجزء الثالث)

